

حركة الترجمة وتحديث اللغة والثقافة العربية في مصر خلال القرن التاسع عشر: دراسة تاريخية ثقافية

د. عبد المنعم إبراهيم الجميعي*

مقدمة:

أولاً: أحوال الثقافة واللغة العربية في مصر قبل حركة الإحياء والتحديث:

حتى عهد سلاطين المماليك الذي استمر في حكم مصر في الفترة من ١٢٥٠ إلى ١٥١٧م كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، فلما استولى العثمانيون على الشام ومصر جعلوا اللغة التركية هي اللغة الرسمية وشهدت اللغة العربية إهمالاً شديداً في استخدامها سواء في الناحية الرسمية أو الشعبية وسواء في تدريسها بمعاهد العلم أو في الاهتمام بتطويعها مع متطلبات العصر، وكانت النتيجة أن حدث انقطاع واضح بين الناس ولغتهم العربية وربما يرجع السبب في ذلك إلى إهمال الحكام والمقررين منهم لها بحكم جنسياتهم غير العربية، واستمرت الأحوال على ذلك الوضع إلى بداية القرن التاسع عشر وظهور فجر النهضة المصرية الذي يرجع إلى الحملة الفرنسية وعصر محمد علي، فالحملة الفرنسية جاءت بالمطبعة التي أتاحت طبع بعض الكتب القديمة والصحف كما ساعدت علي نمو الوعي القومي لدى المصريين، وفي عصر محمد علي وأسرت به بدايات رجالات الفكر في مصر يشعرون أن اللغة العربية التي عاشت القرن الثامن عشر أصبحت لا تساعد على مسايرة هذه النهضة^١ بعد أن بدأ التغلغل الثقافي الأوربي يطفو على سطح الحياة المصرية خاصة بعد أن حاول محمد علي نقل مصر من مرحلة العصور الوسطى إلى العصر الحديث بنقل ثقافة الغرب إلى مصر، فقام بإنشاء مدارس مدنية أنشأ فيها نظاماً تعليمياً جديداً يتبع النموذج الأوربي، وأرسل البعثات إلى أوروبا للتخصص في شتى فروع المعرفة، وكان لا بد لنجاح هذه السياسة من ترجمة العديد من الكتب الأجنبية إلى العربية، ووضع القواميس التي تساعد على الدراسة والترجمة خاصة وأن محمد علي كان محتاجاً إلى أن يعرف علوم الغرب وآدابه ونظمه وطرائقه في بناء دولته الحديثة، وقد استعان محمد علي في بداية الأمر بالشوام والأرمن وغيرهم من رجال حكومته وموظفي ديوانه للقيام بهذه المهمة أمثال الأب «رفائيل زاخور» و«يوحنا عنجورى» و«يوسف فرعون» وغيره حتى عادت بعثاته من أوروبا وتحملت هذه المهمة.

ثانياً: حركة الإحياء والتحديث على يد رفاة الطهطاوي وغيره من المبعوثين:

بعد أن أنهى المبعوثون المصريون دراستهم وعادوا إلى مصر كانوا عوناً لمحمد علي في إدارة دواوينه ومصانعه ومدارسه، وقد رأى محمد علي أن أول واجب عليهم ترجمة كتب العلوم التي درسوها في أوروبا،^٢ فشطت حركة الترجمة واتسع آفاقها على يد رفاة الطهطاوي وغيره من المبعوثين. فبعد أن عاد رفاة من رحلته بباريس إلى مصر في عام ١٨٣١ والتي كانت أول اتصال روحي بالغرب أخصبت به عقول أهل مصر أدرك رفاة روعة الدور الذي ينتظره في بلاده والذي يستطيع به أن يقود حركة التنوير بها، لذلك كان متحفزاً

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة الفيوم، ويشغل منصب الأمين العام للجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

١ عبد المنعم الجميعي: دراسة تاريخية، مجمع اللغة العربية، ص ٧.

٢ أحمد بدوي: رفاة الطهطاوي بك، ص ٣٨.

لعمل خطير هو إصلاح المجتمع المصري والعمل على تنويره. وفيما يلي نعرض لسيرة موجزة لسيرة رفاعة العلمية وكيفية اتصاله بالغرب.

ولد رفاعة بمدينة طهطا بصعيد مصر عام ١٨٠١ وبعد مولده بقليل توفي والده بدوي الطهطاوي فتولى أخواله كفالاته وأشرفوا على تعليمه في الكتاب، وبعدها انتقل إلى القاهرة والتحق بالأزهر، وخلال ذلك كان كثير التردد على الشيخ «حسن العطار» أحد علماء الأزهر المستنيرين ليلتقى عنه علوم الأدب والجغرافيا والتاريخ وبعد أن أتم رفاعة دراسته بالأزهر في عام ١٨٢٢ تولى التدريس فيه مدة عامين ثم انتقل للعمل كواعظ بأحدى فرق الجيش المصري، ولما طلب محمد علي من الشيخ العطار أن يختار له من علماء الأزهر عالما يتمتع بأهلية ليكون إماما للبعثة العلمية إلى باريس وأن تقتصر مهمته على إمامة طلاب البعثة في الصلاة ووعظهم وإرشادهم اختار رفاعة لهذه المهمة، فسافر مع البعثة عام ١٨٢٦ وظل هناك خمس سنوات كانت من أهم سنوات عمره حيث انغمس في الدراسة بحماس ونجاح كبيرين،^٣ فانكب على قراءة التاريخ القديم والفلسفة اليونانية والجغرافيا والرياضيات والمنطق، ودرس اللغة الفرنسية حتى ملك ناصيتها وأصبح يتحدث بها بطلاقة وتخصص في الترجمة وتفوق فيها لدرجة نال بها إعجاب أساتذته الفرنسيين ولم تمنعه بيعته المحافظة كشيخ أزهرى من أن يوسع أفقه ويلاحظ ما يدور في فرنسا من أحداث ووقائع ويطلع ويترجم ما يختار من مطالعته ويعلق عليها. وعندما عاد إلى مصر في عام ١٨٣١ كان متحفزا لإصلاح المجتمع المصري وتعليم الشعب وتنبيه الأذهان وقد عهدها إليه الحكومة الكثير من المهام والمسؤوليات، فعين مترجما ومدرسا للغة الفرنسية في مدرسة الطب، ثم نقل إلى مدرسة المدفعية وخلال ذلك قام بترجمة بعض الكتب الفرنسية في الهندسة والجيولوجيا والجغرافيا والطب،^٤ وفي عام ١٨٣٤ نشر كتابه الشهير «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» الذي قدم فيه وصفا للمجتمع الفرنسي كما شاهده، ولم يلبث أن قدم إلى محمد علي مشروعا بإنشاء مدرسة الألسن. ولما كان محمد علي يحسن تقدير الاقتراحات والآراء المفيدة، فقد وافق على اقتراح رفاعة وبادر بتنفيذه، فأنشئت المدرسة في عام ١٨٣٥ وكان مقرها دار الألفي بالأزليكية، وعهد إلى رفاعة بإدارة المدرسة التي بدأت مناهجها بدراسة اللغات العربية والتركية والفرنسية ثم اتسع نطاق الدراسة فيها ليشمل الأدب والقانون الفرنسي والشرعية الإسلامية والفلسفة والآداب، كما اعترفت المدرسة بالتاريخ كعلم لأول مرة ثم أدخلت اللغات الإنجليزية والفارسية بعد ذلك في مناهجها الدراسية،^٥ وقد ألحق بهذه المدرسة قلم الترجمة الذي انكب أعضاؤه على ترجمة العلوم والفنون وخلال ذلك بذل رفاعة جهودا هائلة في نقل المعارف الأوروبية وثمار الفكر الغربي إلى العربية، فعمل على تعريب الأسماء الأجنبية مع الاحتفاظ باسمها الأصلي، كما قام بوضع مصطلحات عربية تتقابل في معناها مع المصطلحات الفرنسية ووازن بين اللغتين، كما دعا إلى تبسيط علم النحو العربي وتيسيره على طلاب العلم.

وقد قام رفاعة في هذه المدرسة بدور المشرف والمشارك في كافة نواحي أنشطتها من إدارة وترجمة وتأليف وتدريس ولا سيما في قلم الترجمة الذي كان ملتقى للمتخرجين تتلاقى فيه جهودهم في ترجمة العلوم والفنون

٣ Hourani, Allert: *Arabic Thought in Liberal Age 1798-1939*, Oxford University Press, 1962, p. 25.

٤ للتفاصيل يمكن الرجوع إلى جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر في عصر محمد علي، وأيضا التاريخ والمؤرخون في القرن التاسع عشر.

٥ للمزيد من التفاصيل حول مدرسة الألسن. راجع عبد المنعم الجميعي: مدرسة الألسن وتطور الترجمة وحركة التعريب في مصر.

بين مختلف اللغات^٦ ومن شتى كنوز المعرفة وخلال ذلك استطاع أن يصنع من تلاميذه روادا للجيل الجديد. ولكي تتضح جهود رفاة في الترجمة والتأليف وما أودعه من ثروة من مستحدثات الألفاظ والأساليب وأثر ذلك في حركة الإحياء التي قام بها بين أروقة المجتمع المصري فسنعرض لمؤلفاته.

ثالثا: مؤلفات رفاة الطهطاوي وأثرها في حركة التنوير:

١- تخلص الإبريز في تلخيص باريز:

وقد وصف رفاة في هذا الكتاب رحلته إلى أوروبا، وتحدث عن غريب العادات وعجيب المناظر التي شاهدها في فرنسا والتي كادت أن تصيبه بصدمة كبيرة أفقدته عقله لبعض الوقت عندما رأى النساء الفرنسيات يسرن في الشوارع بلا حجاب وتكشف ملابسهن عن الأكتاف والرقاب كما أن الأذرع عارية والوجوه مكشوفة في الطرقات يراقصن الرجال ويشربن الخمر بينما كانت قيود العادات والتقاليد تكبل المرأة المصرية وتجعلها تعيش في عصر الحريم كما كتب ما استطاع أن يحيط به من نظام الفرنسيين السياسي والإداري، ورسم صورة واضحة لما رآه من شئون الحياة الأوربية ونظمها وتقاليدها مثل أوضاع النساء ودورهم في المجتمع موضحا أن مشاركة المرأة الفرنسية في المجتمع تكسبه جمالا وتملاؤه أنسا وبهجة كما كتب عن الطبقات الاجتماعية المختلفة، والأحوال الدينية والعادات والتقاليد فقد أعجب بنظافة الفرنسيين وحسن عاداتهم في تناول الطعام على الموائد، والنوم على الأسرة ورش الطرق والميادين بالماء ونظافتها، ورأى في الفرنسيين ذكاء العقل ودقة الفهم، كما أعجبه حبه للعدل وتمسكهم بالقوانين وحبه للعلوم والمعارف وتندر من أكلهم بالشوكة والسكين مما أضاف للفكر العربي موضوعات جديدة عليه خاصة وأنه تعرض لأشياء وظواهر لا وجود لها في الشرق ومن خلال ذلك قام رفاة بتطويع اللغة العربية للأفكار والتصورات الجديدة، وبهذا وضع الأساس الأول في التطور الحديث للغة العربية وتسجيل الكلمات الجديدة على هذه اللغة، مما أضاف للفكر العربي الكثير من المعاني والموضوعات خاصة في السياسة والحكم والقانون والتسامح الديني، وحرية الفكر، والكتابة والنشر، وأنواع العلوم والفنون عند الأوربيين والموازنة بين قواعد اللغة العربية والفرنسية وحرصه على حث المسلمين على تقليد الأوربيين في البحث العلمي والتطور.

٢- بداية القدمات وهداية الحكماء:

وقد قام رفاة بترجمة هذا الكتاب بالاشتراك مع بعض تلاميذه ووضع له مقدمة وهذا الكتاب يهتم بدراسة تاريخ اليونان وأساطيرهم وأدبهم وتقديمها إلى الفكر العربي كما تعرض لتاريخ قدماء المصريين والسوريين والسريانيين والبابليين، والعجم، والهنود، وتعرض أيضا لذكر أمم العرب وأحوالهم قبل الإسلام في محاولة منه أن يقارن بين تاريخ القرون الوسطى عند الأوربيين والعرب.

٣- مواقع الأفلاك في وقائع تليماك:

وهذا الكتاب يمثل محاولة جريئة في نقل الأدب الأسطوري اليوناني إلى الفكر العربي فهو عبارة عن قصة تتعرض للأساطير اليونانية وشئون السياسة والاجتماع في بعض ممالك أوروبا، ويربط ذلك بصلة الأدب اليوناني بالفكر العربي، وقد ترجمه رفاة أثناء تواجده في السودان عندما أبعدته عباس الأول إلى هناك، وأخرجه بعد عودته إلى مصر في صفحات تزيد على الثمانمائة وفي أسلوب بارع أوضح فيه رفاة العديد من المغامرات

٦ للتفاصيل أنظر عبد المنعم الجميحي: مدرسة الألسن وتطور حركة الترجمة والتعريب في مصر.

المليئة بالأخطار، مستخرجا منها العديد من العظات، ومقارنا للنماذج البشرية في الحكم والسياسة، وواصفا طبائع البلاد المختلفة.

٤- التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية:

وهي رسالة في النحو العربي كتبها رفاعه بأسلوب جديد سهل ومباشر لتلاميذ المدارس الخصوصية والأولية تضم مجموعة من القواعد ووضعتها أمام المتعلم في نظام شامل وواضح. يضم العديد من الجداول التعليمية التي تشمل مجموعة من القواعد النحوية الحديثة، وعلى منوالها سار مؤلفو العربية نحو تبسيط نحو اللغة، وتوضيح خصائصه.

٥- أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل:

وهو جزء هام من تاريخ مصر كتبه رفاعه في عهد إسماعيل، وتم نشره عام ١٨٦٨ وفيه بسط تاريخ مصر من أقدم العصور وحتى ظهور الإسلام موضحا مدنية مصر وسياستها وطبيعة أرضها ونيلها وبحيراتها ونباتها وحيوانها ومعادنها ومن حكمها من الملوك والولاة، وما تعاقب عليها من غزوات ثم تعرض لأحوال العرب قبل الإسلام وصفاتهم وما كان لقريش من زعامة. وهذا الكتاب يعد درسا في التربية الوطنية وضعه رفاعه بين يدي الشباب ليتعرف على تاريخ بلاده.

٦- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز:

وهذا الكتاب يعد أول دراسة حديثة للسيرة النبوية وتاريخ صدر الإسلام،^٧ وقد ركز فيه رفاعه على سيرة الرسول عليه السلام ومراحل دعوته وهجرته وأخلاقه وصفاته وأهل بيته، ونظام الحكم في الإسلام، كما يحتوي على العديد من الألفاظ التي تشمل العديد من المعاني الجديدة، ويظهر في بعضها طابع التأثير بالاستعمال الأجنبي مثل المنافع العمومية والجنسية، والوطنية العمومية، والهيئة الاجتماعية وغيرها.

٧- قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر:

وهو كتاب مترجم لم ينقله رفاعه بتمامه بل حذف ما ذكره مؤلف الكتاب من إساءة لبعض العوائد الإسلامية، وقد قدم له رفاعه بمائة صفحة أخرى تضمنت شرح الكلمات الغريبة التي توجد في الكتاب مرتبة على حروف المعجم، ومعظمها أسماء ممالك وبلدان وأسماء أعلام ومصطلحات علمية، وكان هدفه من ذلك توسيع قاموس المصطلحات في اللغة العربية.

٨- مناهج الألباب المصرية في مباح الآداب العصرية:

وعنوان هذا الكتاب يدل على أن صاحبه جمع بين القديم والجديد، وقد قصد فيه رفاعه جمع معلومات عما أسماه المنافع العمومية التي تتسع بها دائرة التمدن الوطني والكتاب يدور حول فضل المنافع العمومية، وحالة تلك المنافع في الأزمنة القديمة، وهو يعد معلما من معالم التجديد الفكري والتطور اللغوي، كما يعد فتحا جديدا في الفكر العربي الحديث، جدد فيه رفاعه معالم الطريق الذي يرشحه لمصر لتسايره في نهضتها، كما بين فيه كيفية الاستفادة من علوم وثقافة الغرب مع الحفاظ على ما هو إيجابي من الموروث الثقافي العربي

٧ محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٣٠.

الإسلامي وصاغ فيه المفاهيم الأساسية للوطن والوطنية،^٨ فمصر التي استخلصها من إطار الموروث التاريخي للأمة الإسلامية، من وجهة نظره كالشخص له لب وفؤاد، وحياء وشعور، وهذا اللب مناهج حياة، وأسلوب عيش. وفي هذا الكتاب دعا رفاة إلى التسامح الديني، وأكد حقوق الأقباط واليهود بالخضوع لشريعتهم فيما يتصل بالأحوال الشخصية وقد اعتمد رفاة في مصادره على التراث العربي الإسلامي القديم وعلى التراث الغربي الجديد خاصة التراث الفرنسي.

٩- المرشد الأمين للبنات والبنين:

وهو كتاب في الآداب والتربية العامة، والطرق السليمة لتعليم البنات والبنين وتهذيبهم أورد فيه رفاة خلاصة فكره الاجتماعي والثقافي وموقفه من قضية المرأة المصرية فدعا إلى تعليمها وفتح أبواب العلم أمامها، كما تحدث فيه عن الوطن والتمدن والحريات العامة، ومن ثم نستطيع أن ندرك مدى تأثير فكر الطهطاوي في صياغة المشروع الوطني السياسي والثقافي وفي التطورات التي حدثت في مصر. هذا عن مؤلفات رفاة في الفكر واللغة، أما ما أنتجه رفاة وتلاميذه من مئات الكتب المترجمة إلى اللغة العربية ومن المصطلحات العلمية والثقافية فيعد من مفاخره فقد اختار رفاة لتلاميذه بعض الكتب التاريخية وكتب سير العظماء والفلاسفة لترجمتها ومن ذلك نذكر تاريخ الفلاسفة اليونانيين، وبداية القدماء وهداية الحكماء، والذي يتضح من تقديم رفاة له حبه للتاريخ حيث يقول «يجب طرق التاريخ بالهمة والفكر، لما أنه يوجد بذكر ما جرى عليه النسيان. ولولا أن مصباح التاريخ هو الاستصباح لأصبح ما مضى هشيما تذروه الرياح، فمنفعته عامة للخاصة والعامة، وهو مشير كل أمير، وسمير كل وزير، وظهر كل سمير، إذا سئل أجب، وأبدى العجب العجائب» أما ما ترجمه رفاة بنفسه فهو كثير ونذكر من ذلك كتابه الهام «قلائد المفاحر في غريب عوائد الأوائل والأواخر» الذي ترجمه من الفرنسية إلى العربية.

واستمر رفاة في جهوده التنويرية، فعمل محررا لجريدة الوقائع المصرية التي كانت تصدرها الحكومة واستطاع تحويلها من مجرد نشره رسمية إلى صحيفة أسبوعية تحاكي الصحف الأوروبية.

وبعد وفاة محمد علي تناقص دور رفاة أيام عباس الأول (١٨٤٨-١٨٥٤) وأيام محمد سعيد (١٨٥٤-١٨٦٣) فتدهورت أحوال مدرسة الألسن وأبعد رفاة إلى السودان عام ١٨٥٠ ومع ذلك ظل متمسكا بقلمه محبا لوطنه ثم ما لبث أن استعاد مكانته في عصر إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) فإلى جانب عودته لإدارة مدرسة الألسن أسند إليه مهمة تحرير مجلة روضة المدارس،^٩ التي كانت فتحا جديدا في تاريخ الصحافة.

وإلى جانب ذلك فلرفاة فضل كبير في نهضة القانون في مصر ذلك أن الحكومة عندما بدأت في إصلاح النظام القضائي في عهد إسماعيل مهدت لذلك بتعريب القوانين الفرنسية المعروفة بالكود (Le Code) ولم تجد من يقوم بهذه المهمة الشاقة سوى رفاة وتلاميذه فعربوا القانون المدني الفرنسي الذي استمد المشروع المصري منه معظم أحكام قوانين المعاملات المدينة والمرافعات والعقوبات خاصة وأن رفاة أضاف الكثير من الشروح والتعليقات عليه.

وتلك القوانين التي بنى على أساسها النظام القضائي الحديث والتي كانت المرة الأولى التي يتعرف عليها المصريون على طريقة عمل النظام السياسي في الغرب.^{١٠}

٨ رءوف عباس: التنوير بين مصر واليابان، ص ٦٧.

٩ رءوف عباس: التنوير بين مصر واليابان، ص ٦٣-٦٧.

١٠ Abu-Lughod: *Arab Rediscovery of Europe*, pp. 88-92.

ومن ذلك يتضح فضل رفاعة وتلاميذه في إقامة صرح العدالة في مصر،^{١١} وإلى جانب ذلك نذكر أن رفاعة كان شاعرا وأديبا له نفس حساسة، فله ديوان شعري تمت طباعته مرات عديدة.^{١٢} لقد حمل رفاعة لواء النهضة العلمية والأدبية في بلاده وكان منهجه العلمي أن ينقل إلى أبناء وطنه علوم أوروبا في التاريخ والجغرافيا والرياضيات والفنون وقد اقترن ذلك بنزعة وطنية قوية كما اقترن بتهذيب النفوس وإرشادها إلى ما فيه رفعة الوطن ومجده، وكانت له نفس شاعرة جادت بشعر تترقرق فيه معاني الوطنية كما كان له قلم يجمع بين الأدب العربي والثقافة الأوروبية، ولم يقف انتاجه عند التعريب بل قام بتأليف العديد من الكتب الممتعة في التاريخ والأدب والتربية، يضاف إلى ذلك ما انتجه تلاميذه بتوجيهه من عشرات الكتب المترجمة إلى العربية، ومن آلاف المصطلحات اللغوية.

وهكذا ترك رفاعة أثرا كبيرا في تطور الفكر المصري الحديث والثقافة الوطنية المصرية بعد أن استمد روافده من التراث القديم، والفكر التنويري الفرنسي الحديث مما أحدث العديد من نواحي التجديد في الفكر واللغة، واستمر رفاعة يؤدي واجبه التنويري نحو وطنه حتى أدركته الوفاة في عام ١٨٧٣ وله من العمر خمسة وسبعون عاما.

رابعا: خلفاء رفاعة وتطور الثقافة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر:

أتت النهضة المصرية ثمارها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فظهر العديد من رواد الفكر والغيورين على اللغة العربية مثل علي باشا مبارك الذي تقلد بعد عودته من بعثته لدراسة الهندسة بفرنسا عدة مناصب هامة منها وزارة المعارف العمومية ومن خلال ذلك دعا إلى الاهتمام باللغة العربية فقام بإنشاء دار العلوم لتخريج معلمين للغة العربية وقام بتأسيس دار الكتب لتكون مركزا تثقيفيا للمصريين كما قام بتأليف عدة مؤلفات منها الخطط التوفيقية في عشرين جزءا والتي تعتبر مصدرا للتعريف بالحياة المصرية وحياة المصريين الاجتماعية، ورواية علم الدين المليئة بالعديد من التجارب والمعارف والحكايات والقصص، وقد اختار علي مبارك بطل هذه القصة ابن فقيه من فقهاء الريف، ولد له ابنا سماه علم الدين تفاؤلا بأن يكون من العلماء، ثم وجهه إلى الجامع الأزهر لدراسة علوم الدين واللغة، وقد استطاع هذا الفتى أن ينبغ في هذه العلوم وكان أن جمعته الأيام بأحد مشاهير الانجليز المهتمين باللغة العربية، وانعقدت بينهما أواصر المودة، وخلال ذلك سافر إلى إنجلترا ورافقه ابنه في هذه الرحلة فكانت فرصة للرجل الانجليزي يتلقى فيها من الشيخ معلومات عن الأعياد المصرية، وموالد السيد البدوي وغيره من المشايخ. وهذا الكتاب يعد من القصص التي سبقت ظهور القصص الفني في العصر الحديث. هذا إلى جانب قيام علي مبارك بتأليف العديد من الكتب والمؤلفات في العلوم الهندسية وغيرها.

وظهر عبد الله باشا فكري صاحب الرسائل الأدبية والبحوث في أدب الرحلات والثقافة العربية^{١٣} والذي نجح في جمع مجموعة من الأمثال وضعها في كتاب اسماء «نظم اللآل في الحكم والأمثال»، كما ظهر من زعماء الإصلاح من قاموا بالتنبيه إلى ضرورة الاهتمام بما فحذر «جمال الدين الأفغاني» من الآثار التي تترتب على إهمالها ونادى بالمحافظة عليها حتى تستقر المعارف،^{١٤} كما عالج مشكلات السياسة المصرية في صراحة وجراحة

١١ أحمد بدوي: مرجع سابق، ص ١٧٨.

١٢ جمعه وقدم له دكتور طه وادي. انظر ديوان رفاعة الطهطاوي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣.

١٣ للتفاصيل انظر: الآثار الفكرية وتشمل بعض نظم ونثر عبد الله فكري التي جمعها نجله أمين فكري.

١٤ جريدة مصر في ١٤ مايو ١٨٧٩.

كبيرة خلال اقامته بمصر حيث جعل من داره مركزا للإشعاع الفكري والسياسي. ووقف «عبد الله النديم» بالمرصاد لكل من حاول التقليل من شأن اللغة العربية وهاله أن يرى موجة الفرنجة التي أصابت البلاد تصل إلى اللغة العربية حتى أصبح أبناء وطنه لا يهتمون بلغتهم والمثقفون منهم يتفاحرون باستعمال اللغات الأجنبية كلغة للتفاهم والتعامل كما هاله أن يرى محاولات الاستعمار التقليل من شأن اللغة العربية للسيطرة على عواطف المصريين وأفكارهم حتى لا ينهضوا فندد بمؤلاء في صحفه مبينا لهم الآثار الضارة التي ستترتب على مستقبل الوطن والدين نتيجة ما يفعلون فكتب مجموعة من المقالات وأبرزها «إضاعة اللغة تسليم للذات»^{١٥} خاطب فيها المتفرنجن فقال «أيها الناطق بالضاد بم تستبدل لغتك وليس لها مثيل وإلى من تتركها وأنت لها كفيل والذي استحسنه في غيرها واستقبحته مقابله فيها»، كما بين أن اللغة هي سر الحياة يترجم بها الإنسان عن خواطر القلب، وأنها في حد ذاتها شخصية استقلالية^{١٦} لأن الذي يتحدث بلغته يشعر بالقوة وتنطبع نفسه على حب الكرامة والاستقلال، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل قام بعض الأدباء والعلماء بتكوين جمعيات أدبية ولغوية للدفاع عن اللغة العربية.

وإلى جانب ذلك فقد حاول الشيخ محمد عبده الإسهام في تطوير اللغة العربية فجدد في أسلوب التأليف، وقام بالتدريس بمدرسة دار العلوم بمهدف إعداد المعلم الصالح والمساهمة في تطوير اللغة، وكان لكتاباته أكبر الأثر في تطور اللغة العربية والفكر وأساليب التعبير في مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر خاصة وأنه ترك ثروة ضخمة من الإنتاج الفكري، ونادى بإصلاح اللغة العربية وإتقان الكتابة والخطابة فيها مما جعل له مكانة خاصة في حركة التجديد اللغوي والأدبي في مصر هذا إلى جانب أنه عاصر فترة من مراحل كفاح مصر القومي أثناء قيام الثورة العربية وما بعدها، قاد خلالها حملات الإصلاح واجتهد في مسائل الدين واللغة.^{١٧}

إن آثار الشيخ محمد عبده تكشف مدى التنوع في الموضوعات التي اهتم بدراستها كما توضح مقدار التطور الذي مر به الفكر العربي في مصر خلال القرن التاسع عشر ومدى استجابة اللغة العربية لحاجات المجتمع إلى التطور مما جعل له مكانة كبيرة في حركة التجديد اللغوي والأدبي في مصر خاصة وأنه تناولها بروح تجمع بين الأصالة والتجديد.

خامسا: الجامعة المصرية ومحاولات الارتقاء باللغة العربية:

ولعل الأدب القومي والاهتمام باللغة العربية، قد برز عمليا بعد إنشاء الجامعة المصرية، فعندما أنشئت هذه الجامعة في عام ١٩٠٨ اتفق على أن تكون لغة التعليم فيها هي «اللغة العربية دون سواها لتكون واسطة لنشر المعارف وترقية العلوم بين الناطقين بالضاد، ولكي ترتقي اللغة العربية بهذه الوسيلة»^{١٨} وترجع أسباب التمسك باللغة العربية كلغة للتعليم بالجامعة إلى أن قادة الرأي في مصر في ذلك الوقت وجدوا أن آثار الفرنجة التي أصابت البلاد قد وصلت إلى اللغة العربية حتى أصبح أبناء الوطن لا يهتمون بلغتهم، والمثقفون منهم يتفاحرون باستعمال اللغات الأجنبية للتفاهم والتعامل. أما عن البعثات العلمية التي أرسلتها الجامعة إلى أوروبا فقد كان الهدف منها إيفاد طلابها لاستكمال

١٥ التنكيث والتبكيث في ١٩ يونيو ١٨٨١.

١٦ الأستاذ العدد الأول في ٢٣ أغسطس ١٨٩٢.

١٧ للتفاصيل أنظر: محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده، القاهرة، مطبعة المنار، ١٩٣١.

١٨ محاضر جلسات الجامعة المصرية: جلسة الثلاثاء في ٢٨ أبريل ١٩٠٨.

معارفهم في جامعاتها الشهيرة،^{١٩} وذلك لتخريج أساتذة وطنيين يعلمون العلوم بعد عودتهم إلى مصر باللغة العربية.

وهكذا أحدثت الجامعة ثورة في اللغة والأدب، وأخذت مكانها في قافلة التطور اللغوي والأدبي.

سادسا: إنشاء مجمع اللغة العربية للحفاظ على الفصحى ومواكبة المصطلحات العلمية:

ورغم كل ما بذل من جهود لتحديث العلوم والثقافة العربية، فإن اللغة العربية لم تستطع مواكبة التقدم العلمي الهائل في كافة مجالاته فاختلطت العامية بالكلمات المعربة، واستبدلت العامية بالفصحى ونتيجة لذلك أحس رجال العلم في مصر بالخطر الذي يواجه اللغة العربية وخشوا أن يزعر ما يحدث في أركانها، وفكروا في إنشاء هيئة تحفظ لهذه اللغة حياتها وسلامة النطق والتعبير عن معانيها وتجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون، وقد تعددت المحاولات والجهود التي انتهت بتأسيس مجمع للغة العربية في عام ١٩٣٢.

وهكذا تابعنا في هذه الدراسة مراحل تطور حركة الترجمة والتحديث في اللغة العربية وآدابها منذ أوائل القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، كما تابعنا رواد هذه النهضة وأعمالهم التي تسببت في التطور اللغوي والأدبي في مصر.

سابعا: وجه التشابه بين فكر فوكوزاوا يوكيتشي التنويري وفكر رفاة الطهطاوي:

يعد فوكوزاوا ١٨٣٥-١٩٠١ رائدا للتنوير في اليابان كما يعد رفاة الطهطاوي ١٨٠١-١٨٧٣ رائدا للفكر العربي الحديث فكلاهما تأثر بالفكر الغربي، وكلاهما ترك أثرا بالغا على تطور الفكر الحديث في بلاده وأثر تأثيرا كبيرا في جيل المثقفين المعاصرين له، وكلاهما حاول البحث عن صيغة تمزج الموروث والمكتسب وتحافظ على خصوصية الثقافة الوطنية خلال مرحلة تكوين الدولة الحديثة.

لقد بذل كل منهما جهدا كبيرا في الدعوة إلى التعلم ففوكوزاوا نظريته لتطور التعلم في كتابه «تشجيع التعليم». ودعا رفاة في كتابه «مناهج الأبواب» إلى التعلم موضحا أهميته، كما قام كل منهما بالربط بين الثقافتين الغربية والشرقية، وفي استخلاص ثقافة جديدة تجمع بين إيجابيات الموروث وإيجابيات المكتسب وتلي حاجات المجتمع في مرحلة التحول إلى العصر الحديث ومعنى ذلك أن اليابان ومصر مرتا بمرحلة التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث في ظروف غلبت عليها الاستجابة لتحدي العدوان الغربي وخلال ذلك استطاعت كل من اليابان ومصر أن تحل مشكلة الأصالة والمعاصرة بالتوفيق بين التقاليد اليابانية والمصرية والتقاليد العصرية الغربية مما ترتب عليه أن أخذت الحياة السياسية في كلا البلدين لونا خاصا يعتبر انعكاسا للواقع المجتمعي في اليابان ومصر.

وإلى جانب ذلك لقد اهتم كل من فوكوزاوا والطهطاوي في مجال الفكر السياسي بإعادة النظر في الأفكار التقليدية التي تبرر سلطة الحاكم والحكومة من أجل دفع عجلة التقدم إلى الإمام في عملية تكوين الدولة الحديثة ولما كان الموروث السياسي التقليدي يقف ضد التطور السياسي في الدولة الحديثة فقد وقع على عاتق رائدي التنوير في مصر واليابان مراجعة ذلك الموروث الثقافي السياسي لفتح الطريق أمام تطور إدارة الحكم خلال بناء الدولة الحديثة.^{٢٠}

١٩ الجامعة المصرية: تقرير مجلس الإدارة في ١٤ مارس ١٩١٤، ص ٢٩.

٢٠ رءوف عباس: مرجع سابق، ص ٧٣-٧٥.

مصادر الدراسة

أولاً: الوثائق:

وثائق منشورة:

الجامعة المصرية: محاضر جلسات الجامعة المصرية ابريل ١٩٠٨.

الجامعة المصرية: تقرير مجلس الإدارة، مارس ١٩١٤.

ثانياً: المراجع العربية:

أحمد بدوي: رفاة الطهطاوي بك، لجنة البيان العربي، القاهرة، د.ت.

جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر في عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٥١.

جمال الدين الشيال: التاريخ والمؤرخون في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٥٨.

رعوف عباس: التنوير بين مصر واليابان، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، د.ت.

رفاع الطهطاوي: تخلص الإبريز في تلخيص باريز، وزارة الثقافة والارشاد، القاهرة، ١٩٥٨.

رفاع الطهطاوي: المرشد الأمين للبنات والبنين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.

رفاع الطهطاوي: مناهج الأبواب المصرية في مباحث الآداب العصرية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.

عبد الله فكري: الآثار الفكرية، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٧.

عبد المنعم ابراهيم الجميبي: مجمع اللغة العربية — دراسة تاريخية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

١٩٨٣.

عبد المنعم ابراهيم الجميبي: مدرسة الألسن وتطور حركة الترجمة والتعريب في مصر، القاهرة، ١٩٩٩.

محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، مطبعة المنار، القاهرة، ١٩٣١.

محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، القاهرة، ١٩٧٤.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Abu-Lughod Ibrahim. 1963. *Arab Rediscovery of Europe, A study in Cultural Encounters*. Princeton, N.J.: Princeton University Press.

Hourani, Allert. 1962. *Arabic Thought in Liberal Age 1798–1939*. London: Oxford University Press.

رابعاً: الدوريات:

الأستاذ، أغسطس ١٨٩٢.

التنكيث والتبكيث، يونيو ١٨٨١.

مصر، مايو ١٨٧٩.